وآله صلّى الله عليه وسلّم: أقاربه المؤمنون من بني هاشم[1]، وهذا قول ابن القاسم ومالك وأكثر

(1) قوله: (أقاربه المؤمنون من بني هاشم) أي: وكذا المؤمنات من بناته، ففي قوله: (المؤمنون) و(بني) تغليبٌ.
وتفسير (الآل) في هذا المقام بهذا لا يحسُن؛ فإنّ (الآل) له معانٍ باعتبار مقالات، ولا يحسُن أن تُعدّ أقوالًا.
ففي مقام المدح -كهذا المقام-: كلّ مؤمن تقيّ؛ لحديث: «آل محمّد كلّ تقيّ»، «أنا جدّ كلّ تقيّ»، ولمحيي الدين بن عربيّ -قدّس الله سرّه-:

لَيْسَ التُّقَى لِلنَّفْسِ خَيْرَ لِبَاسِ ... يَزْهُو بِهَا الْمَسْعُودُ بَيْنَ النَّاسِ
إِنَّ الشَّرِيفَ هُوَ التَّقِيُّ الْمُرْتَضَى ... لَا الْهَاشِمِيُّ وَلَا بَنُو الْعَبَّاسِ
إِلَا إِذَا اتَّقَوْا إِلَّا لَهُ فَإِنَّهُمْ ... أَهْلُ الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى وَالْبَاسِ

وفي مقام الدّعاء: كلّ مؤمن ولو عاصيًا.
وفي مقام حرمة الزّكاة: الأصحّ عند المالكيّة: أقاربُه المؤمنون من بني هاشم، كالحنابلة.
وزاد الشّافعيّة: والمطّلب، وعليه درج خ في مصرف الزّكاة فقال: (وعدمُ بُنُوَّةٍ لهاشمٍ والمطّلبِ ورُجِّحَ)، قال المحلّي: لأنّه صلّى الله عليه وسلّم «قسم سهم ذوي القربى بينهم دون بني عمّهم عبد شمس ونوفل مع سؤالهم» رواه البخاريّ، وقال: «إنّ هذه الصّدقات إنّما هي أوساخ النّاس، وإنّها لا تحلّ لمحمّد ولا لآل محمّد» رواه مسلم، وقال: «لا أُحِلُّ لكم أهلَ البيت من الصّدقة شيئًا ولا غسالة الأيدي، إنّ لكم في خُمُس الخُمُس ما يكفيكم أو يغنيكم» أي: بل يغنيكم، رواه الطبرانيّ، والأظهر في تقرير الاستدلال بهذه الأحاديث أن يجعل من القياس المركّب فيقال: آله صلّى الله عليه وسلم من تحرم عليهم الصّدقة، ومن تحرم عليهم الصّدقة هم المختصّون بخُمس الخُمس، والمختصون بخمس الخمس هم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطّلب، فينتج: آله صلّى الله عليه وسلّم أقاربه المؤمنون من بني هاشم والمطّلب، دليل الأولى الثّاني، ودليل الثانية الثالث، ودليل الثالثة الأوّل.
وخصّت الحنفيّة فِرَقًا خمسة أشار لهم من قال:

علي والعبّاس عقيل وجعفر * وحمزة هم آل النّبيّ بلا نكر

فائدتان: الأولى: كلّ فرقة من الفرق يطلق عليها الأشراف، والواحد شريف، هذا مصطلح السلف كالذّهبيّ وغيره.=

أصحابه. وفيمن فوقهم إلى بني غالب قولان[1]..........................

= وإنّما حدث تخصيص الشرف بولد الحسن والحسين في مصر خصوصًا من عهد الفاطميّين، قاله السيوطيّ في (العجالة الزرنبيّة في السلالة الزينبيّة)، ونقله الشعرانيّ في (العهود المحمديّة)، والشيخ مصطفى البكري في شرحه على همزيّة البوصيري، وقال المقّريّ في القواعد: هو حادث بعد مضيّ ثلاثة قرون المُثْنَى عليها اهـ.

وهو قديم عندنا بالمغرب من لدن افتتحه الأدارسة، ومنهم سرى إلى الفاطميّين بإفريقيّة والقاهرة؛ لقربه منهم.

وحاصله: تخصيص الشرف بأولاد السبطين ليس بشرعيّ، وإنّما هو عرفيّ، وهذا من حيث الحكمُ عليهم بأنّهم آل، أمّا من حيث كونُهم بُضعةً من رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فلا يوازيهم أحد، وهو محمل ما ورد في فضلهم، ولله درّ القائل:

أَقُولُ قَوْلًا حَسَنًا قُلْتُهُ ... مَا النَّفْسُ فِيمَا قُلْتُهُ آثِمَهْ

لِكُلِّ شَيْءٍ جَوْهَرٌ خَالِصٌ ... وَجَوْهَرُ الْخَلْقِ بَنُو فَاطِمَهْ

ونظير ذلك التّخصيص تخصيصُهم بأكثر البلاد المشرقيّة بعصائبَ خُضْرٍ على العمائم شعارًا لهم، ولله درّ ابن جابر الأندلسيّ إذ يقول:

جَعَلُوا لِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ عَلَامَةً ... إِنَّ الْعَلَامَةَ شَأْنُ مَنْ لَمْ يُشَهَّرِ

نُورُ النُّبُوَّةِ فِي كَرِيمِ وُجُوهِهِمْ ... يُغْنِي الشَّرِيفَ عَنِ الطِّرَازِ الْأَخْضَرِ

والوالدِ -قدّس الله سرّه- في قوله:

نُورُ النُّبُوَّةِ فِي مِرْآةِ وُجُوهِهِمْ ... يُغْنِي عَنِ الْعَمَّةِ الْخَضْرَاءِ وَالْعَلَمِ

فَقُلْ لِمَنْ يَطْلُبُ الْتِبَاسَهُ بِهِمْ ... اَلْوَرْدُ يَمْتَازُ بِالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ

الثانية: لم يُعَقِّب من أعمام النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- التسعة إلّا أربعة: أبو طالب، والعبّاس، والحرث، وأبو لهب، ذكره مصعب وابن حزم.

(1) قوله: (وفيمن فوقهم) الخ، الأوّل لأشهب أنّهم آل، الثّاني لابن القاسم أنّهم ليسوا بآل، وهو المشهور.

وأمّا من فوق غالب فليسوا بآل[1].

و(صَحْبِهِ) اسم جمع لا مفرد له من لفظه، وقيل: جمع لـ(صاحب)، كرَاكِب ورَكْب[2]، ....

---

(1) قوله: (أمّا من فوق غالب فليسوا بآل) نحوه في الجواهر، وراجع ابن سلمون، فقد ذكر الخلاف فيمن فوق غالب -أيضًا-.

فائدة: رمز بعضهم بالحرف الأوّل من كلّ كلمة من هذين البيتين إلى واحد من آبائه صلى الله عليه وسلم على ترتيبهم إلى عدنان فقال:

عَلِقْتُ شَفِيعًا هَالَ عَقْلِي قِرَانُهُ ... كِتَابٌ مُبِينٌ كَسَبَ لُبِّي غَرَائِبُهْ

فِدَا مَعْشَرٍ نَفْسِي كِرَامَ خُلاَصَتِي ... عَلَى إِلْفِهِمْ مُذْ نِيلَ مَجْدٌ عَوَاقِبُهْ

قال في ك: الشين من شفيعا لعبد المطلب؛ لأن اسمه شيبة، والعين من على لمدركة؛ لأن اسمه عامر اهـ. ونسب في جذوة الاقتباس هذين البيتين لأبي القاسم الفجيجي قال: وقيل: للونشريسي، أو الزقاق، ولم ينسبها ابن مرزوق، خلافا لما في ك، لكن أنشد * فيه: (آلفهم) بدل (إلفهم)، وهو ظاهر والله أعلم.

----

* قوله: (لكن أنشد فيه: (آلفهم) الخ، كذا في الأصل، ولعلّ الصواب: لكن أنشد فيه: (على آلهم) بدل (على إلفهم)؛ ليستقيم الرمز والوزن، فتأمّل، كتبه مصحّحه (صالح مراد الهلالي).

(2) قوله: (اسم جمع) الخ، الأوّل لسيبويه، والثاني للأخفش، والتحقيق الأوّل؛ لأنّه ليس من أبنية الجمع، كما ذكره الأشموني، فعلم أنّ اسم الجمع قد يكون له واحد من لفظه، وقولهم: (ما لا واحد له من لفظه بل من معناه كجيش) لعلّه نظر للغالب، أو خلاف التحقيق، وإنّما الفرق بينهما: لفظيّ بكونه مغايرًا للموازين المعلومة للجموع، ومعنويّ بأنّ الجمع كُلّيّة في قوّة التكرار بحرف العطف، واسم الجمع كلّ، أفاده الأشمونيّ في شرح الألفيّة، لعلّه نظر للأصل، وإلّا فيقال: حمل الرّجال الصخرة، وأعطيت الجيش دينارًا دينارًا.

والـمراد: الصحابة، جمع: صحابـيّ[1]، وهو: من اجتمع مؤمنا بمحمد -صلّـى الله عليه وسـلّم-[2]....

(1) قوله: (والـمراد الصحابة، جمع صحابـيّ) أي الذي هو أخصّ من مطلق (صاحب)، فإنّ هذه التسمية حادثـة فـي الإسلام، وليست فـي قديم اللغة، وإنّمـا الـذي فيـه: (صـاحب) و(أصـحاب)، ومـا ادعّـاه مـن أنّ (صـحابة) جمع (صحابـيّ)، وهو ما ذكره ابن هشام اللّخميّ فـي شرح الفصيح نقلا عن بعض النحاة، ومذهب الـجمهور وصرّح بـه ابن جنّي وغيره أنّه مصدر بمعنى (الصّحبة)، كـ(الـجزالة)، أطلقت علـى الـجماعة الـمعلومة من باب (زيـد عـدل) وليس بجمع، إذ ليس لنا وزن علـى (فَعالة) يضبط شيئا من الـمفردات، قاله مـحشّي القاموس.

(2) قوله: (اجتمع مؤمنًا بمحمّد -صلّـى الله عليه وسلّم-) يعني بعد البعثة ولو بعد إنذاره؛ ليدخل ورقة، ومن ثَمّ عدّه جمع فـي الصحابة، وأمّا من اجتمع معه قبل البعثة مؤمنًا بأنّه سيبعث، كبَحِيرَى الراهب وزيد بن عمرو بن نفيل، فنظـر فيه الـحافظ ابن حجر، ووجّهه الكمـال بن أبـي شريف بأنّه لـم يكن حينئذ نبيًّا، فملاقيه لـم يلق النّبيّ، لكن كـان نبيًّا عند الله، فيخرج بالاعتبار الأوّل ويدخل بالثاني. ويدخل فــي قولـه: (مؤمنًـا): الـملائكةُ الـذين اجتمعـوا بـه فــي الأرض، وجنٌّ نصيبين علـى الراجح عند الـحافظ ابن حجر فـي ترجمة زوبعة الـجنّيّ فـي الإصابة، قـال: لأنّ النّبـيّ -صلّـى الله عليه وسلّم- بُعث إليهم قطعًا، فمن عُرف اسمه منهم لا يبقى التردّد فـي ذكره فـي الصحابة، ويـخرج مـن التعريف: من اجتمع به كافرًا، فليس بصاحب له؛ لعداوته، ولو أسلم بعد وفاته، كرسول قيصر، قاله العراقيّ. وتنظـير ابن عرفة فيه قصور. والـمراد بالاجتمـاع كمـا قال الكمـال وغيره: الـمتعارف، لا ما وقع علـى سبيل خـرق العـادة، كمن اجتمع به ليلة الإسراء من الأنبياء والـملائكة، فليسوا بصحابة؛ لعدم بروزهم حينئذ لعالـم الدنيا كمــا جـزم بـه البلقيني، إلا عيسى -علـى نبيّنا وعليه السلام- فصحابـيّ كمـا جزم به الذهبي وغيره؛ لرفعه حيًّا ونزوله بعدُ، وحكمه بشـرع الـمصطفى -صلّـى الله عليه وسلّم-، وهو أفضل الأمّة كمـا أشار له التاج السبكيّ بقوله لغزًا:

مَن باتّفاق جميع الـخلق أفضل مِن * خير الصّحاب أبـي بكر ومِن عمر

ومِن علـيّ ومِن عثمـان وهو فتى * من أمّة الـمصطفى الـمختار من مضر

وجوابه:

ذاك ابن مريم روح الله حيث رأى * نبيّنا الـمصطفى فـي أحسن الصُّوَر

فوق السموات ليلا عندما اجتمعا * كذاك عند ظراب البيت والحجر